القصة نمط للإقناع في مشاهد القيامة عند المحدثين

The story as a way of persuasion in the scenes of the Resurrection among narrators.

أ.د. هادي شندوخ حميد السعيدي

عباس حسين عناد الإبراهيمي: كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق

Prof. Dr. Hadi Shandokh Hamid Al-Saidi

Abbas Hussein Inad Al-Ibrahimi: Faculty of Arts, University of Thi-Qar, Iraq

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان طريقة تناول الدارسين المحدثين للقصة في مشاهد القيامة، وكيفية اظهارهم للجانب الإقناعي فيها، فالقصة لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ولها دور بارز في إقناعه والتأثير فيه وهدايته إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، ولقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي تم من خلاله وصف الظاهرة القصصية المتجلية في الشواهد القرآنية وتحليلها وفق مكونات لغوية أو دلالية من قبل الدارسين المحدثين لملاحظة جريان الإقناع فيها، وبذلك يكون البحث منتميا إلى حقل الدراسات اللسانية الحديثة التي تُعنى بالنصوص القرآنية عند التطبيق، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أنّ القصّة في مشاهد القيامة لها دور إقناعي؛ لأنّها تقوم على الحقيقة والواقع، ولقد تجلّت فيها ظاهرتا الاستباق والاسترجاع الزمنيين، وهذا التخلخل الزمني له بُعدٌ إقناعي، كما تجلى فيها أسلوب الالتفات وأسلوب السخرية.

الكلمات المفتاحية: قصص القرآن، إقناع، مشاهد القيامة ، محدثين

Abstract:

This study aims at clarifying the way modern scholars dealt with the story in the scenes of the Resurrection, and how they show the persuasive aspect in it. The story has great importance in human life, and it has a prominent role in persuading and influencing people and guiding them to the truth and to the straight path. This study used the descriptive analytical approach, through which the narrative phenomenon, that is obvious in the Qur'anic evidence, was described and analyzed according to linguistic or semantic components by modern scholars to note the flow of persuasion in it. Thus, the research belongs to the field of modern linguistic studies that are concerned with Quranic texts when applied. This study concluded that the story in the scenes of the Resurrection has a persuasive role, because it is based on truth and reality, and the phenomena of temporal anticipatory and retrospectiveness appeared in it. This temporal dislocation has a persuasive dimension, and the style of attention and irony appeared in it.

Keywords: Quran stories, persuasion style, Resurrection scenes, modernists.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم السلام على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين، مما لاشك فيه أن القصّة في القرآن الكريم تعد من الموضوعات القرآنية المهمة التي تحتاج إلى اهتمام خاص وعناية مميزة، فالقصة في القرآن الكريم قد شغلت مساحة واسعة فيه، وهي من أحسن القصص الحق؛ لأن الله الله هو من تفضل علينا بهذه القصص، وبين لنا أنّ القصص في القرآن جيء بها لتحقيق أهداف تربوية وفكرية وعلمية، ولأجل إيقاد الفكر، فقد قال الله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176].

لقد اقبل العلماء المسلمون على القصص القرآني دارسين وباحثين ومتدبرين، من مفسرين ومؤرخين، قدماء ومحدَثين؛ لما لهذا القصص من أثر عميق في النفوس، وبما يحتويه من تشويق وعظة واعتبار وغيرها من الصفات التي تؤثر في المتلقي بحيث تجذبه وتجعله منشدّا لما يُلقى عليه. ولقد أخذتْ مشاهد القيامة حيّزا كبيرا من القصة القرآنية، بحيث تحدثت الكثير من القصص القرآنية عن أحوال مشاهد القيامة وأهواله، فبعضها يصف قصص المؤمنين وأحوالهم، والبعض الآخر يروي لنا أحوال الكافرين والمستكبرين والأتباع، بأسلوب قصصي يشدّ الأسماع ويجذب الأفكار ويثير في النفوس نوازع الخوف والرجاء،

لقد جاء عنوان البحث: القصّة نمط للإقناع في مشاهد القيامة عند المحدَثين، تبيانا لأهمية القصّة بصفتها أسلوبا من أساليب الإقناع، التي يستعملها القرآن الكريم؛ ليحاجّ بها الناس وليحملهم على اتباع الأوامر الإلهية، وقد سعى البحث لبيان رؤية بعض المحدَثين وكيفية دراستهم لهذا النمط الإقناعي عن طريق بعض الشواهد القصصية المختصة بيوم القيامة، ثمّ جاءت الخلاصة وقد أتبعتْ بقائمة المصادر التي استنار بها البحث.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة الدراسة حول مسألة مهمة تناولها الدارسون المحدثون وهي مسألة القصة في مشاهد القيامة، والسؤال المحوري هنا هو: هل تمكن الدارسون المحدثون في بيان إقناعية القصة في مشاهد القيامة؟، وهل كانت جهودهم كاشفة للطاقات الإقناعية المؤثرة في المتلقي فكريا ونفسيا؟.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم من خلاله وصف إقناع القصة القرآنية في مشاهد القيامة من خلال بعض الشواهد القرآنية التي تناولها الدارسون المحدثون.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى بيان الطاقة الإقناعية للقصة في مشاهد القيامة عند الدارسين المحدثين وكيفية تحليلهم للنصوص القصصية القرانية من خلال بعض النماذج التطبيقية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها متعلقة بالقصة القرآنية وكيفية تأثيرها في المتلقي فهي وسيلة من وسائل الإقناع وركيزة من ركائزه المهمة التي استعملها القرآن الكريم في الدعوة إلى الحق وهداية البشرية.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي في القصة

القصّة: لغة واصطلاحا

ذكرت كتب اللغة والمعجمات أنّ القصّة قد أُخِذت من القصّ و (القَصَص من قولهم: قَصَصْتُ الشّيء قصَصاً، إذا اتّبعته، والقَصَص اتّباعك الأثَر من قوله جلّ وعزّ (فارتدّا على آثارهما قَصَصا)[الكهف: 64][1]، وجاء في لسان العرب أنّ(القَصُّ: فعل القاصّ إذا قصَّ القِصَصَ، والقِصّة معروفة. ويُقال في رأسه قِصّة يعني الجملة من الكلام... والقاصّ الذي يأتي بالقِصّة من فَصّها، ويقال قَصَصْت الشيء إذا تتبّعت أثَره شيئاً بعد شيء... والقِصّة: الخبر وهو القَصَصُ. وقصّ عليَّ خبرَه يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أوْرَدَه. والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغْلَبَ عليه، والقِصَص بكسر القاف جمع القِصّة التي تُكتَب... وتقصَّصَ كلامَه: حَفِظه، وتقصَّصَ الخَبَرَ تتبّعه)[2]، فالمعنى اللغوي لهذه المادة يدلّ على تتبع الشّيء أو اقتفاء أثره، أو الخبر. والقاصّ: هو الشّخص الذي يأتي بالقصّة ويتتبع معانيها وألفاظها. والقصّة: تتبع الأخبار من القاصّ.أمّا في الاصطلاح فإنّ معناها وليد من المعنى اللغوي ونابع منه، فقد عُرّفت القصّة بأنّها: (عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تخيّل لصورة تأثر بها، أو بسط لعاطفة التهبت في صدره فأراد أنْ يُعبّر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القُرّاء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه، أو هي تصوير الحياة في فترة من فتراتها بكل جزئياتها وملابساتها وتفصيلاتها كما تمرّ في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية))[3]، فهي بذلك عرض لفكرة الكاتب أو القاصّ التي تأثر بها وأثارت مخيلته، أو هي عرض لحادثة في فترة زمنية معينة، فعبّر بها القاصّ ليبلغها إلى ذهن المتلقي؛ قاصدا بذلك التأثير فيه، وإثارة عواطفه وأحاسيسه ومشاعره، وجذب انتباهه لما يُلقى عليه.

---

[1] ابن دريد، جمهرة اللغة: 1010/2 (ص ق ق)

[2] ابن منظور، لسان العرب: 11/ 190-191 (قصص)

[3] محمود الشريف، القصّة في القرآن: 21

ولقد عُرّف الأدب القصصي بأنّه: (انتقاء أو انتخاب خاص لواحد، أو مجموعة من الشخصيات والأحداث والبيئات والأفكار، يُكتب بلغة الحوار أو السرد أو كليهما، وتخضع لبناء هندسي خاص من حيث بدايته ووسطه ونهايته والعلاقة العضوية بينهما، كما يخضع رسم الشخصيات والحوادث... إلى تقنيات أو صياغات خاصّة بكلّ منها)[1]، فالقصّة عمل فني وبناء هندسي رائع، وانتقاء خاصّ لشخصية ما، أو مجموعة من الشخصيات مع أحداث ومواقف وبيئات، وهي تعتمد السرد أو الحوار أو الاثنين معا، متضمنة أهدافا فكرية معينة وتخضع عناصرها إلى صياغة وتقنية خاصّة، وهي من الفنون الأدبية التي لها دور كبير ومهم في تحليل الواقع والتعبير عنه، ولها الأثر الفعّال والكبير في جذب النفوس والتأثير في العقول؛ لما تحتويه من تشويق ومعرفة، ولقد كانت أسلوبا مفضلا عند النّاس لما فيها من عظة وعِبْرة.

القصّة القرآنية:

تُعّد القصّة من النماذج الأدبية الرفيعة والرائعة التي تجلّت في القرآن الكريم؛ لما لها من أثر كبير في التوجيه والإرشاد لخير الدنيا والآخرة، وبما فيها من العبر والعظات التي ينتفع بها النّاس بصورة عامة، والمؤمنين بصورة خاصّة، و(القصّة في القرآن ليست عملا فنيّا مستقلا عن موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصّة الفنيّة الحرّة التي ترمي إلى غرض فنّي طليق، إنّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كلّ شيء، والقصّة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)[2]. فالقصّة القرآنية من وسائل القرآن المهمّة التي تهدف إلى تبليغ وإيصال الغرض الديني للمتلقي، وهي من الوسائل الرائعة لجذبه والتأثير الوجداني فيه، الذي بدوره يرتقي به إلى تلقي التأثير الديني، والقصّة في القرآن الكريم وإن كانت قصّة أدبية، لكنها ليست كباقي القصص الأخرى، فهي ليست عملا فنيّا محضا، ولا يطرأ عليها الخيال، بل هي وسيلة قائمة على أساس الحقيقة والواقع، فهي تنقل لنا أحداثا واقعية حقيقية، وتميزت بأنّها قائمة على الحقائق المطلقة والحجج الدامغة والبراهين الساطعة، متسقة في سياقها مع ما قبلها وما بعدها، مؤتلفة مع غرضه الذي سيقت لأجله، وهي في نقلها للحقائق تستحوذ على العقول وتأسر النفوس وتثير الوجدان[3].

لقد شغل الخطاب القصصي في القرآن الكريم حيّزاً كبيراً، وهو يُعدّ من الفعاليات التواصلية التي تؤثر في النّفوس وتسيطر على الأفئدة؛ فهو يشكل عاملا مهما في إنجاح أيّة دعوة من الدعوات التي يراد إبلاغها للمخاطبين، ولقد استعمل القرآن الكريم الخطاب القصصي في كثير من المواقف؛

[1] محمود البستاني، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي: 297

[2] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن: 143

[3] ينظر: عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 37

بوصفه وسيلة من وسائل التبليغ والدّعوة الإسلامية التي يناط بها التبصر بمبادئ الدّعوة، والكشف عن مقاصدها في نفس المخاطَب[1]، فالقصّة أسلوب من أساليب التواصل ووسيلة من وسائله التي تفعل فعلها وتؤثر أثرها في النفوس، والاستحواذ على القلوب، وهي من العوامل المهمة التي يتم من خلالها إيصال الفكرة والمعلومة إلى المخاطَب؛ من أجل التأثير فيه وإقناعه بما يلقى عليه؛ لذلك وظّفها القرآن الكريم لتكون وسيلة من وسائل التبليغ التي من خلالها يتم إيصال المبادئ والاحكام الإلهية، ولتكون حجّة على العباد كغيرها من الحجج التي تقطع الطريق على المشككين في الدين الاسلامي ودعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

عناصر القصّة:

تتكون القصّة بصورة عامّة من عناصر فنيّة تختصّ بها، وهي العناصر ذاتها التي تتكون منها القصّة القرآنية، وتتمثل هذه العناصر في [2]:

1- الحادثة: وهي سلسلة من الأحداث والوقائع التي يضمها إطار خاص.
2- الشّخصيات: التي تدور حولهم الأحداث.
3- الزّمان: الذي تسير فيه الأحداث وتتطور وتنضج.
4- المكان: وهو موضع وقوع الأحداث.

أهداف القصّة[3]:

للقصّة في القرآن الكريم مجموعة من الأهداف والأغراض منها

1- التفكّر والتدبّر، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176].
2- إثبات الوحي والرسالة المحمدية، وبيان أنّ الدين قد جاء من عند الله سبحانه وتعالى، من عهد نوح إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله.
3- تنبيه النّاس من غواية الشيّطان بإظهار العداوة بينه وبين بني آدم عن طريق القصص.
4- تثبيت النبي وتسلية له ولأمته، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: 120].
5- الاهتداء بهدي الأنبياء والاقتداء بهم.

---

[1] ينظر: لطفي فكري، جمالية الخطاب في النص القرآني: 133 .
[2] ينظر: عمر اسماعيل، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني: 23
ينظر: سيد قطب، التصوير الفنّي في القرآن: 144-145، وينظر: محمد البخيت: خصائص الأسلوب القرآني: 248-250
[3]

المبحث الثاني: إقناعية القصّة

يتمظهر البعد الإقناعي للقصّة القرآنية في أنّها إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم ليحاجّ بها النّاس، وليقطعهم عن المجادلة والمماحكة، شأنها في ذلك شأن الأساليب الأخرى من استدلال ومناظرة ووعد ووعيد وترغيب وترهيب، وغيرها من الأساليب المبثوثة في القرآن الكريم، ولقد كانت القصّة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدّعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان النفسي؛ بما تدعو إليه من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر، وبما تحمله من مُثُل في الجهاد والبذل والتّضحية، في سبيل الدّعوة إلى الحق، والتوجيه إلى عمل الخير والهُدى، والتّنكر والرفض للباطل والضلال، والصّمود في وجه الظلم والجور والطغيان [1]، فالقصّة القرآنية أخذت مجالا واسعا في النصّ القرآني فكانت أسلوبا فعّالا في إبلاغ الدّعوة الإسلامية والمبادئ القرآنية؛ لما لها من الأثر الكبير في العقول والنفوس؛ ولما تحتويه من خصائص عديدة تجعلها أسلوبا مؤثّرا، فهي تمتاز بأنّ مصدرها إلهي، وهذا المصدر بعيد كلّ البعد عن الكذب والخطأ.إنّ المتكلم قد يعمد في بعض الاحيان إلى وضع أدلّته في قالب (قصصي فيذكر حال جماعة تشابه الجماعة التي يخاطبها، ويذكر ما يجري بينهما من مناقشات في الموضوع الذي يتكلم فيه، ويجري الحجّة على ما يدعو إليه على ألسنة الفريق الذي يدعو إلى تغيير مواقفهم، ويذكر المعنى الذي يرمي إليه مصوّرا في قصّة... ليكون المعنى واضحا ومكشوفا)[2]، فالمتكلم يوظف حالة التشابه بين فئتين من النّاس؛ بهدف جعل المعنى واضحا؛ قاصدا من ذلك تغيير موقفهم وجذبهم إلى ما يدعو اليه، معتمدا الأسلوب القصصي؛ لغرض التعميم والعبرة.

لقد استعمل القرآن الكريم الأسلوب القصصي؛ (ليفْتَحَ القلوبَ الغُلْفَ ويضيء العيونَ العمي، ويرهفَ الآذان الصّم حين يذيع أسرار الوجود)[3]، فالخطاب القصصي الذي جاء به القرآن الكريم لم يكتف بإثارة الذائقة الجمالية في وجدان المتلقي بجمال الأسلوب وجدة العرض ونشاط الخيال وقوة العاطفة فحسب، بل تضمن الكثير من التصورات والرؤى التي تتعاطى مع الإنسان بوصفه المرتكز الأساسي الذي يدور حوله الكون؛ لذلك جاءت القصّة في القرآن الكريم ولها الأثر الكبير في النفوس والوقع الكبير على القلوب؛ ففيها عنصر التشويق وجوانب الاعتبار والاتعاظ [4]. إنّ الخطاب القرآني عندما يقصّ القصّة لا يأتي بها إلّا ليواجه حالة ما، ولا يقرر حقيقة إلّا ليغير بها باطلا، إنّه يتحرك حركة واقعية حيّة وهادفة في وسط واقعي حيّ، إنّه لا يقرر حقائقه للنظر المجرد، ولا يقصّ القصص لمجرد الإمتاع الفنّي، إنّه يقصّ القصص مذكّرا ومبشّرا ونذيرا؛ قاصدا إيصال الحقيقة من أجل إحداث

---

[1] ينظر: عبد الكريم الخطيب القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: 8 .

[2] كريمة شعبان، الاتصال الخطابي وفن الإقناع: 183 .

[3] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: 206 .

[4] ينظر: محمد طنطاوي، القصة في القرآن الكريم: 3/1 .

تأثير في المخاطَب، وبالتالي حصول الاقتناع والاذعان لديه [1]. ونظرا لأهمية القصّة وشغلها حيزا واسعا في الخطاب القرآني؛ فقد توجهت أنظار الدارسين المحدَثين لهذا الفن العظيم، وقد بذلوا جهدا كبيرا من أجل كشف أسراره المكنونة وخزائنه العظيمة، ولما يحتويه من طاقات إقناعية لها الأثر الكبير في المتلقي نفسيّا وفكريا، ولأجل هذا وغيره يسعى البحث إلى أخذ بعض النصوص القصصية التي وقت عليها أنظار الدارسين المحدثين، وتبيان طريقة تناولهم لها من جانب إقناعي. فمن نماذج القصص القرآني التي تطرّقت الى مشاهد القيامة قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) [...] فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: 90-103]. تتحدّث هذه الآيات الكريمة عن مشهد من مشاهد يوم القيامة التي خلصت إليها قصّة نبي الله إبراهيم، بعد أنْ انقطعت كلّ السبل لهدايتهم؛ بسبب عنادهم وكثرة مماطلتهم، فتُبين أنّ الجنّة قد قُرّبت واعدت للمتقين، أمّا الجحيم فقد برّزت للغاوين، ثمّ بدأ النص القرآني بسرد الأحداث والوقائع في هذه القصّة.

لقد تحدّث الدكتور عدنان مهدي الدليمي عن انطواء الزّمن في هذه القصّة القرآنية وهو ما يسمى بالاستباق فنراه يقول: (القصّة تطوي الزمن، وتتخطى عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وإذا بقوم إبراهيم وقوف بين يدي الله عزّ وجلّ وهم يُسْألون عما كانوا يعبدون، تساوقا مع سؤال إبراهيم عليه السلام لهم في الدنيا...ثمّ يصور كبكبتم في جهنّم هم ومن اغواهم... فجاء هذا المشهد المفاجئ والمباغت لتصوير حال المشركين في نار جهنّم؛ ردعا لهم عن شركهم، وحملا على الانضواء تحت راية التوحيد، وبرهانا ساطعا على حتمية البعث والحساب))[2]، فهذه الآيات تتحدث عن قوم إبراهيم عليه السلام، أي أنّها كانت تتحدث عنهم في الحياة الدنيا، ثمّ جاء هذا المشهد المباغت الذي طوي به الزمن، وحصل الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحساب، بأسلوب مفاجئ، وهو ما يسمى بالاستباق أو الاستشراف، والاستباق: هو عملية سردية، تتمثل في إيراد حدث لم يقع بعد، سابق للنقطة التي وقف عندها السرد، أو الاشارة اليها صعودا إلى المستقبل على شكل قفزات إلى الامام، فهو استباق للمستقبل يدلّ على أحداث سابقة عن أدائها ويمكن توقع حدوثها والتطلّع الى ما سيحصل من مستجدات وأحداث [3]، فمن فوائد الاستباق أنّه يعمل على تهيئة القارئ لتلقي ومعرفة ما سيجري من أحداث وتغيرات مفاجئة، كما أنّه يعمل على خلق حالة من الانتظار والتوقع لدى المتلقي مما يجعله منجذبا لما سيحدث، متفاعلا مع ما يُلقى عليه [4].

[1] ينظر: قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني: 77 .
[2] عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 272 .
[3] ينظر: بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية: 87 .
[4] ينظر: المصدر السابق: 88 .

بعد ذلك يعقب الدكتور عدنان مهدي الدليمي على هذا النص القرآني القصصي بقوله: (والتّعبير بالفعل الماضي المبني للمجهول في (أزلفت) و(برّزت) للدلالة على تحقق وقوع الفعل، كلّ منهما لمستحقه على جهة التّمكين والاقتدار مع التّركيز على الحدث... ومما يزيد المتقين غبطة وتكريما وتنعيما، والغاوين تحسّرا وتنديما وإيلاما وتهويلا المحسّن البديعي بـ (المقابلة) بين الحالين، مع ما تحدثه في المتلقي من هزّة نفسيّة تدفعه إلى المقارنة بين الحالين المتضادين، والتمعن في مقام كلّ من الفريقين)[1]، فاستعمال الفعل الماضي في مشاهد القيامة سرّ بلاغي وغرض مقصود؛ فبه يُنزّل الأمر المستقبلي بمنزلة الأمر الواقع والحادث، وهذا الاستعمال القرآني نوع من الالتفات، وهو من الأساليب الحجاجية التي يستعملها القرآن الكريم عندما يكون الشيء المتحدَّث عنه حتمي الحصول، وإيذانا بصحة وجوده وتحققه، فاستعمال الفعل الماضي عن أمر لم يقع بعد فذلك أسلوب بليغ، وهو يستعمل عادة في الأمور التي يستعظم وجودها، وبالخصوص مشاهد القيامة والحساب[2].

إنّ التّعاقب الزمني البديع بلا مهلة أو انقطاع لأفعال متلاحقة صيغت بصيغة المجهول يزيد في روعة التّعبير القرآني، وهي ظاهرة بارزة وتكاد تكون مطّردة في القرآن الكريم وخاصّة عند وصف العذاب وأهوال وأحداث يوم القيامة[3].

ومما يلاحظ في حديث الدّكتور الدليمي أنّه وظّف أسلوب التّقابل في حديثه عن هذا النصّ القصصي، وما يحدثه من أثر نفسيّ في المتلقي، ولإثارة انتباهه وتحفيز عقله ليستقبل الفكرة ويستوعب ما يُلقى عليه، فأسلوب التقابل "يأتي معزّزا للحجاج في بيان وجه الصّلة العميقة بين المتقابلين ضدّيّا من حيث الدلالة، وسرّ أسلوب المقابلة كلّه في تهيئة مفاجئة وتوضيح توتر ما بينهما؛ إذ توجد علاقة ظاهرة أو باطنة بين المتقابلين تقوم هذه العلاقة على أساس التناسب من أجل بلوغ غاية حجاجية"[4]، فالتّقابل بين أجر المتقين وهو الجنّة، وبين عقاب الغاوين وهي الجحيم يفعل فعله ويؤثر أثره في المتلقي، ويدفعه الى المقارنة بين هاذين المصيرين والتّمعن والتّفكر في مقام كلّ من الطّائفتين.

ومن أمثلة القصص القرآني الأخروي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) [...] عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[الإنسان: 5-22]. هذه القصّة تنقل لنا حادثة قد وقعت لأفراد يمثلون نموذجا من صفوة

[1] عدنان الدليمي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية: 272-273

[2] ينظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية: 457 .

[3] ينظر: نقرة التهامي، سيكولوجية القصّة في القرآن: 504 .

[4] مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: 195-196 .

البشر وخالصتهم، وهم آل البيت عليهم السلام، علي وفاطمة والحسن والحسين وجارتهم فضة، حيث نذروا صوم ثلاثة أيام وأوفوا بنذرهم، وأطعموا يتيما ومسكينا وأسيرا[1]

يبين هذا النصّ القصصي مشهدا من المشاهد الأخروية وهو مصير المؤمنين، فباشر بوصف ما يلقاه الأبرار من النّعيم الدائم في الجنّة من الشراب والملذات المعنوية والجسدية، فهم قد أدخلوا جنّة لا يرون فيها حرّا ولا بردا، وفيها من كل النّعم والخدم؛ كلّ هذه النّعم كانت جزاء لما عملوا من الصالحات من إيفاء النذر وإطعام الطعام للمسكين واليتيم والاسير.

إنّ سبب بداية هذه القصّة الأخروية بذكر الثواب والشّراب هو أنّ التّلويح بالثواب له معطيات نفسيّة كبيرة في التأثير على السلوك، وحمله على الضبط والاستقامة والتّعديل، وأمّا السبب الذي من أجله بدأ هذا التّلويح بعرض الكؤوس والعيون، وامتزاجها بالرائحة العطرة، وتفجيرها وفق المشتهيات؛ فلأنّها تتصل بأقوى الدّوافع الحيوية والنفسية عند الإنسان، فمن الواضح في حقل الدراسات النّفسيّة، أنّ دافع العطش يبقى من أقوى الدّوافع وأشدها إلحاحا في تركيبة الإنسان، يليها دافع الجوع، وبعده سائر الدوافع الحيوية الأخرى [2]، فمن المعلوم أنّ التّرغيب بالثواب والشّراب له الأثر الكبير في التّأثير في النفوس، وجذبها وشدّها إلى ما يُلقى عليها، وخاصّة قضية الشّراب ودفع العطش، فهي من أقوى الدّوافع وأشدّها على النفس البشرية؛ لأنّ الماء والشّراب من أولويات الإنسان، ومن أشد حاجاته التي لا يستطيع العيش بدونها. يقول الدّكتور لطفي فكري في معرض حديثه عن هذه البنية السّردية: (فالقصّة تتحدث عن بيئة الجنّة وموقع الأبرار منها وبطريقة فنيّة في التّعامل مع الزّمن، حيث تنتقل من بيئة الجنّة إلى بيئة الدنيا، فتنقل عن هؤلاء الأبطال بأنّهم كانوا يوفون بالنذر ويخافون الحساب ويطعمون الطعام لوجه الله، ثم تقطع القصّة عنصر السرد، وتترك أبطالها يتحدثون بأنفسهم عن حقيقة سلوكهم الذي استحقوا عليه هذا الموقع المذكور من الجنّة)[3]، فالسّرد في هذه القصّة القرآنية يبدأ من لحظة تمتع الأبرار بنعيم الجنّة وشرابها جزاء لهم فهم قد وفّوا نذرهم وأطعموا الطّعام للمسكين واليتيم والأسير، وفي أثناء هذه النّعم ينقطع السّرد والعرض فجأة ويرتد مباشرة من بيئة الآخرة الى بيئة الدنيا، وهو قوله تعالى: (إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنّا نخاف من ربّنا يوما عبوسا قمطريرا)، ثمّ بعد ذلك يعود السّرد مرّة اخرى لبيئة الآخرة ويعرضها من جديد بقوله: (فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم، ولقّاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرا)، فهذا الأسلوب الفنّي الذي هو الارتداد أو الاسترجاع أسلوب من أساليب السّرد القصصي، حيث يتجسد الاسترجاع أو اللاحقة السّردية في ترك السّارد والقاصّ مستوى القصّ الأول، ويقطع ترتيب الحدث الزمني؛ من أجل الارتداد إلى حادثة حدثت في الماضي في لحظة لاحقة لحدوثها، فهو إذن بنية

[1] ينظر: تفسير النور: 294/10 .

[2] ينظر: محمود البستاني، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا: 474/2 .

[3] لطفي فكري، جمالية الخطاب في النصّ القرآني: 204 .

سردية صغيرة في بناء سردي كلّي والهدف من ذلك هو إعطاء معلومات عن عنصر من عناصر السرد، أو لسد ثغرة حصلت في النصّ القصصي [1]، فالسّرد القصصي قد يرتد الى الماضي فجأة، ليلفت نظر المتلقي إلى أحداث سابقة؛ ليكون مستحقا درجة الأبرار ومنزلتهم، وما أُعدّ لهم من النّعم؛ ليحمل المتلقي على الاقتناع بما يلقى عليه، والاسترجاع هنا قد أخذ بيد المتلقي وسار به مع نعيم الجنّة وجزاء الأبرار، ثم انقطع تسلسل الأحداث ورجع إلى الماضي؛ ليثير في نفس المتلقي دافع البحث عن سبب هذا الاسترجاع، ومعرفة السبب من شأنه أن يحقق الاقناع لديه والتأثير فيه.

ومن أمثلة السّرد القصصي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾[المسد: 1-5]. هذه السّورة من السّور المكيّة التي نزلت في أوائل الدعوة الإسلامية وبدايتها، وهي من السّور الوحيدة التي تشنّ هجوما عنيفا بالاسم على عدو الإسلام أبي لهب، وهو عبد العزى، وكُنّي بأبي لهب؛ لحمرة كانت في وجهه، وامراته أم جميل كانت من أشدّ الناس عداوة تجاه النبي محمد صلى الله عليه وآله، وأقذعهم لسانا عليه[2]. إذن شخصيات هذه القصّة: هما الزوجان المنحرفان، والموقف: هو موقف العداء للنبي محمد صلى الله عليه وآله، والحدث متمثل في حمل الحطب، والبيئة: هي بيئة الاخرة بحيث أنّ مصيرهما الخسران ونار جهنّم والعذاب الأبدي.

تحدث الدكتور محمود البستاني عن هذه الآيات بقوله: (لعلّ أبرز العناصر القصصية إثارة في الاقصوصة التي نتحدث عنها هو عنصر السّخرية، والسّخرية كما نعرف ذلك جميعا في ميدان الخطاب الأدبي في السّرديات وسواها يظل من أهم المنبهات أو المحركات التي يستجيب لها المتلقي بما هو ممتع وطريف ومثير، بخاصة إذا كان العنصر المذكور يتناول شخصيات معروفة في انحرافها، وفي نمط تعاملها مع الأطراف الإيجابية كرسالة الإسلام وشخصية المرسِل) [3]، فأسلوب السخرية من المقابل من الأساليب المهمة التي يستجيب لها المتلقي ويتفاعل معها، وخاصّة إذا كانت السخرية تتحدث عن شخصيات مشهورة ومعروفة بانحرافها، وهي تتعامل مع شخصيات مشهورة في عظمتها وإيجابيتها. ثم يعقّب الدكتور محمود البستاني على هذا النصّ السّردي بقوله: (إنّ العبارة الجزائية (سيصلى نارا ذات لهب) تجسّد ولا شّك قمة الإثارة والدّهشة والطرافة الفنيّة من حيث مجانستها كما قلنا مع كنية الشّخصية المنحرفة أبي لهب... إذن كم هو طريف وممتع ومدهش حينما نلاحظ هذا التجانس الملفت للنظر بين الكنية وبين نار جهنّم) [4]، فالمتلقي يمكنه أن يرصد التجانس الصّوتي بين كنية أبي لهب السّلبية وبين المصير السّيء الذي ينتظره، وهي النّار ذات اللهب، إذ

[1] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 318
[2] ينظر: ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: 534
[3] محمود البستاني، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا: 518/2
[4] المصدر السابق: 519/2

هو أبو لهب وهي ذات لهب، فبينهما جناس تام، ولقد استعمل هذا النصّ القرآني كلمة (اللهب)، ولم يستعمل بدلها جهنّم أو النّار؛ لتتجانس مع كنيته الظالمة؛ تأكيدا على المصير الذي ينتظره، فضلا عن أنّ ذكر كنيته ينطوي على هجوم لاذع على هذه الشّخصية السّلبية، والعرب تستعمل الكنية للتعظيم والتكريم، أمّا هنا فهي تنتظم على الضّد من ذلك، فهي جاءت للتهكّم والاستهزاء والسّخرية والعكس في الكلام [1]. ومما يلاحظ في كلام الدكتور البستاني أنّه قد وظّف أسلوب المجانسة في حديثه عن هذه القصّة، وبيّن أهميته في إثارة المتلقي، ومن المعلوم أنّ أسلوب المجانسة وغيره من الأشكال البديعية لها دور حجاجي واضح يهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، فللأشكال الموسيقية دور مهم وكبير في عملية الإقناع النّفسي، فهي نشاط يقوم بتحفيز المخاطَب، ولها القدرة على توليد تأويلات ودلالات كثيرة، كما وتتماز أيضا بقدرتها على إقناع واستمالة النّفوس والتأثير فيها[2].

إنّ التجانس يُعدّ من المنبهات الأسلوبية التي تتكأ على القيم الصوتية، والتي تفرز إيقاعا صوتيا ودلاليا، وهذا الإيقاع له من الأثر الكبير في تأكيد المعنى وإبراز العواطف، كما أنّ هذا الإيقاع والجرس الموسيقي الذي يخلقه الجناس يؤثر بصورة ما في المتلقي ويحقق اختلافا وتنوّعا في المعنى بسبب التنوع الموجود في دلالات الكلمات المتجانسة، ويحقق عنصر المفاجئة بالنسبة للمتلقي؛ نتيجة التشابه في الالفاظ واختلاف المعاني، فعندما يسمع المتلقي أو يقرأ اللفظة الثّانية حتى يظن أنّها اللفظة الأولى نفسها والمعنى الأول نفسه، إلّا أنّه يتفاجأ بأنّ المعنى الثّاني مختلف تماما عن المعنى الأول، وهذه المفاجئة تأخذ بعقل المتلقي وسمعه وبصره، وبالخصوص إذا علمنا أنّ النصّ القرآني لا يأتي بشيء إلّا ويكون حاملا لقصدية الخالق جلّ وعزّ [3].

لقد برزت في هذه القصّة تقنية الاستشراف، أو ما يسمى بالاستباق، وفي ذلك يقول الدكتور بشار إبراهيم نايف: (ونجد الاستشرافات في هذه الآية قد تواصلت من بداية القصّة إلى نهايتها، وهي استشرافات لأحداث ستقع في يوم القيامة، بعدما يحاسب الناس على اعمالهم، وقد جاءت الصيغ الاستباقية الآتية لتدل عليها(ما أغنى، سيصلى، امراته حمّالة الحطب، في جيدها حبل من مسد)...)) [4] فإنّ الاستباق قد ملئ هذه القصّة من بدايتها إلى نهايتها، والاستباق تقنية تبدو في الوهلة الاولى أنّها بعيدة عن المنطق إذ أنّها تؤدي إلى تقليل شوق القارئ، غير أنّ للاستباق والاستشراف أهمية كبيرة لا تقلّ عن اهمية الاسترجاع، وتتجلى أهميته في وظائفه التي يحققها، ومنها أنّه يقوم بتهيئة المتلقي واطلاعه على ما سيحصل في المستقبل، ومعرفة مصير الشّخصيات، وغيرها من الوظائف.

[1] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 150
[2] ينظر: باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته: 136
[3] ينظر: طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني: 158
[4] بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية: 104

ومن أمثلة القصّة القرآنية قول الله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. ترسم هذه القصّة موقفا من مواقف اليوم الآخر ومشهدا من مشاهده، فهي تروي لنا نزاعا بين المستكبرين والمستضَعفين والشيطان وأتباعه. ومما يلحظ في هذه القصّة أنّها من حيث الزمان لم تقع بعد، وبما أنّها لم تقع بعد كان يجب بحسب المنطق العقلي أن تصوَّر هذه الصّورة بالصيغ التي تدلّ على المستقبل، لكنها جاءت بصورة تدلّ على أنّها قد وقعت فعلا وتحققت، بدليل وجود الصيغ: (وبرزوا، وقال الشيطان، فقال الضعفاء) وهي صيغ تدلّ على المضي، فما هو السرّ في ذلك؟ والجواب على ذلك هو أنّ القرآن الكريم يقصد من هذه الصّورة أن يبث الخوف والرعب والقلق في نفوس المعاصرين للنبي محمد عليه وعلى آله وصحبه السلام، وأن يصرف المستضعفين عن إتباع المستكبرين والاستماع إليهم وليصرف المستكبرين عن الجري مع الهوى واتباع الشّيطان، وأنّه من أجل ذلك كله صوّر هذه المحاورة بصورة الأمر الواقع والحاصل، وجاء لها بصيغة الماضي، وهو لم يفعل ذلك إلّا لأنّه يعلم أنّ المعاصرين للنبي ينكرون البعث والنشور [2]، فهذا النصّ السّردي يستهدف المستمع ويقصد التأثير فيه، وذلك من خلال تصوير الأمر وكأنّه قد وقع وتمّ، ولكي يسدّ الطريق عليهم، ويجعل من المسألة في موضع الأمر الواقع، وقد مضت عليه فترة من الزمن؛ لتوكيد وقوع الفعل، وأنّه حاصل لا محالة.

إنّ استعمال القرآن الكريم لأسلوب الالتفات في هذا النصّ يجعل وقعه قويا على المتلقي؛ فالالتفات تصرّف أسلوبي مفاجئ، وغير متوقع، وانتقال مفاجئ، ولما كانت له هذه الخصائص، فقد عُدّ طريقة ضغط على ذهن المتلقي من أجل لفت انتباهه إلى مواطن مخصوصة [3].

ومن أمثلة القصة القرآنية أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [...] (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: 112-119]. توضّح هذه الآيات المباركة الحوار الذي يدور بين الله سبحانه وتعالى وبين السيد المسيح عليه السلام يوم القيامة بأسلوب قصصي رائع، حيث يسأله الله سبحانه وتعالى هل أنّ الاعتقاد به وبأمّه أنّهما الهان كان بأمر منه أم هم ابتدعوه؟ فبادر عيسى عليه السلام الى تنزيه الله

[1] سورة إبراهيم: 21-22

[2] ينظر: محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم: 165

[3] ينظر: عبدالله صولة الحجاج في القرآن من خلال اهم خصائصه الاسلوبية: 460

سبحانه وتعالى عمّا لا يليق به وإلى تبرئة نفسه من ادعاء الألوهية. إنّ السّمة البارزة في هذه القصّة القرآنية هي أنّ صيغ الأفعال قد جاءت بالزّمن الماضي مع أنّ هذه القصّة القرآنية لم تقع بعد، فهي مرتبطة بأحوال يوم القيامة، فلماذا جاءت بصيغة الزمن الماضي؟ يجيب الشيخ جعفر السّبحاني عن هذا السؤال بقوله: (إنّ ظرف الحوار الدائر بين الرّب والمربوب هو يوم القيامة، بشهادة قوله في نهاية الحوار: (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)، ولكنْ بما أنّ الحوار أمر محقق الوقوع في المستقبل حكاه بصيغة الماضي)) [1]، فاستعمال الفعل الماضي بدل المستقبل هو نوع من الالتفات، وهو اسلوب يغلب فيما إذا كان مدلول الفعل من الامور المهولة والمخيفة المتوعَد بها، فيُعدَل من لفظ المستقبل الى لفظ الماضي تقريرا وتحقيقا لوقوعه [2].

لقد جرى الحوار في هذه القصّة بين عيسى عليه السلام وأتباعه الحواريين، ثمّ بعد إتمام المبادلة بينهم ينتقل الحوار بين عيسى والله تعالى، ثمّ ينتقل إلى بُعْدٍ آخر، حيث يكون الحوار بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى، لكنّ المبادرة بين عيسى قد انتقلت من بُعْدٍ زمني في الدّنيا الى بُعْدٍ زمني مختلف، وهو زمن يوم القيامة، وهذه التقنية هي تقنية الاستشراف أو ما يسمى بالاستباق. والاستباق (هو الطرف الآخر في تقنيتي المفارقة السّردية: الاسترجاع/ الاستباق، وهو يعني من حيث مفهومه الفنّي: تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة حتما في امتداد بنية السّرد الروائي، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق لاحقا) [3]، فالسّرد في هذا النصّ القصصي يبدأ بين الحواريين وعيسى عليه السلام، ثمّ يقفز للأمام حيث عالم الآخرة والحساب، فيقول الله جلّ جلاله لعيسى ويسأله هل هو مَنْ طلب مِنَ النّاس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله، فيجيب عيسى ربه جوابا مؤدبا بقوله: (قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته)، وهذا الجواب من قِبل عيسى عليه السلام لربه توفيق للتأدب في الجواب الكامل التام، وتصغير لذاته في مقام الذّات الإلهية المقدّسة [4]، فالسّرد القصصي في هذا النصّ قد اتخذ مسارا إقناعيا تمثل في توظيف تقنية الاستباق، فهو قد جعل المتلقي يسير مع حوار الحواريين مع عيسى، ثمّ قفز مباشرة إلى حوار الله مع عيسى من الدنيا الى الآخرة، وهذه المفاجئة لها الأثر الكبير في التأثير في المتلقي، وجذب انتباهه، وشد أفكاره لما يُلقى عليه.

ومن أمثلة السّرد القصصي كذلك قوله تعالى:﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) [...] ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾[ق: 19-

[1] جعفر السبحاني، القصص القرآنية: 467

[2] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 372 .

[3] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق: 119 .

[4] ينظر: يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني: 84 .

34]. يتكون هذا النصّ القرآني من أربعة أطراف حاضرة في هذا العرض السّردي وهي[1]: 1- الذّات الإلهية المقدّسة. 2- الملائكة فمنهم سائق ومنهم شهيد. 3- المسوقون للحساب وهم بني البشر. 3- المسوقون للحساب وهم بني البشر. 4- القرين.

إنّ المتتبع لهذا النصّ السّردي القرآني يلاحظ أنّه يعجّ بأسلوب الالتفات، أو ما يسمى بالعدول، ومنه حذف لفظ القول؛ لغرض استحضار المشهد، وهو يتجلى في قوله تعالى: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)، والتقدير: يقال له عند مجيئها ذلك ما كنت منه تحيد. وفي قوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد)، أي ونقول له. وكذلك في قوله: (وأزلفت الجنّة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكلّ أوّاب حفيظ)، اي ونقول لهم هذا ما توعدون، وكذلك قوله تعالى: (أدخلوها بسلام)، أي ونقول لهم أيضا أدخلوها بسلام. فهذه الأفانين من الحذف تجعل السّامع ينطلق بخياله مع ما يسمع من وصف خلاب، حتى يصير وكأنّه حاضر في هذا الموقف الموصوف، يسمع بإذنه ما يقال، ويشاهد بعينه ما يوصَف [2]. فأسلوب الحذف أبلغ من الذكر؛ لأنّه يذهب بالنّفس كلّ مذهب في القصد في الجواب[3]، ويُقصَد منه إشراك المتلقي، وشدّه الى النصّ؛ لغرض إفهامه، بعد أن يُضَع في موضع الحَيرة؛ ليكون عنصرا فعّالا في النصّ، والحذف يترك ذهن المتلقي ينصرف إلى تقدير المحذوف؛ لغرض الوصول إلى فهم أكثر للنصّ والكشف عن الشّيء المحذوف، سواء كان المحذوف جملة أو كلمة أو حرفا أو حركة. كما يُلاحظ في هذا النصّ القصصي الحوار المفاجئ ممن لا يُنتظَر منه وبأسلوب غير متوقّع حيث نلاحظ التقديم المختصَر للمشهد، ثم الانتقال بصورة مفاجئة إلى توجيه الخطاب إلى المسوق لحسابه (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد)، فلا يُسمع منه ردّ، وإنّما يُسمع القرين، بتقديمه لصحيفة أعماله: هذا ما لديّ عتيد[4]، فالنصّ يبدأ بتوجيه الخطاب إلى المحتضر بدون أن يسبق بلفظ القول، ثم يعود النصّ مباشرة إلى الصيغة السّردية في قوله تعالى: (ونفخ في الصور) ثم يعود بعد ذلك إلى حوار غير مسبوق بلفظ القول في قوله تعالى: (ذلك يوم الوعيد)، فأسلوب المفاجئة يحقق روح العرض في هذا المشهد، بحيث ينتقل السّامع من غير سبق إعلام إلى قلب المشهد فيسمع بإذنه حقيقة الموت التي يواجهها المحتضر، ثمّ يسمع ويرى المشاهد الأخرى المتعاقبة بأسلوب مفاجئ وغير متوقع، بحيث ينجذب إلى هذا المشهد؛ لأنّ

[1] ينظر: كاظم الظواهري، بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم: 288

[2] المصدر السابق: 96 .

[3] ينظر الباقلاني، إعجاز القران: 397 .

[4] كاظم الظواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: 287.

أسلوب المفاجئة في الكلام ملمح لطيف في طريقة التعبير، فهو يستنهض المشاعر والاحاسيس عند المتلقي، ويوقض النفوس ويلهبها[1].

الخاتمة:

أسفر البحث عن منطق الإحساس العميق عند الدارسين المحدثين وهم يتلقون مشهدا من مشاهد القيامة متمثلا في القصة القرآنية، وما يثيره هذا التلقي من حالة إيمانية تتساوق مع معتقدات الدارس ويقينياته باليوم الآخر، كما أفصح البحث عن بنية دلالية ذات مجال متنوع في مشاهد القيامة، قابل للتأويل عند الدارسين المحدثين في منظور التلقي، بمتوالية تقوم على القصة، ينفتح فيها الخطاب الإقناعي على مضامين مختلفة لها اقتضاؤها في تحريك المخاطَب واستمالته.

النتائج:

- استعمل القرآن الكريم القصّة كوسيلة لإيصال الغرض الديني، فهي إحدى وسائل إبلاغ الدعوة وتثبيتها.
- القصّة في القرآن الكريم ليست عملا فنيا مستقلا عن موضوعه كما هو شأن القصص الفنية الأخرى، بل هي ترتبط ارتباطا وثيقا مع موضوعها وموقعها الذي ذكرت فيه.
- من مميزات القصّة القرآنية أنّها قائمة على أساس الحقيقة والواقع، فلا يطرأ عليها الخيال.
- القصّة في القرآن الكريم من أهم الفعاليات التواصلية التي لها القدرة على التأثير في النفوس والسيطرة على العقول، فهي من أفضل الأساليب التي استعملها القرآن الكريم ليحاج بها الناس، وهي ركيزة قوية قائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي.
- تجلت ظاهرتا الاستباق والاسترجاع بصورة كبيرة في قصص القرآن الكريم المختصة بيوم القيامة؛ لما لهاتين الظاهرتين من أهمية في تهيئة القارئ بحيث يكون متفاعلا مع ما يلقى عليه ومنجذبا إليه.
- من الخصائص البارزة في القصّة القرآنية المختصة بيوم القيامة هو اسلوب الالتفات باستعمال الأفعال الماضية بدل الافعال المستقبلية، وهو أسلوب بليغ يستعمل عادة في الأمور التي يستعظم وجودها وبالخصوص مشاهد القيامة.
- السخرية برزت بصورة واضحة في القصّة القرآنية المختصة بيوم القيامة.

([1]) ينظر: ظافر غرمان، بلاغة القرآن الكريم: 166.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق: الدكتور رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1988م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419هـ/1999م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د. ط)، دار المعرف بمصر، (د. ت).
- البخيت، محمد فوزي، خصائص الأسلوب القرآني، ط1، 1436هـ.
- البرزنجي، عمر اسماعيل أحمين، خصائص التراكيب ودلالاتها في القصص القرآني، ط1، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سورية- دمشق، 2017م.
- البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الاسلامي، ط1، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد، 1414هـ.
- البستاني، محمود، قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ط2، مؤسسة السبطين العالمية، 1428هـ.
- التهامي، نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، (د. ط)، الشركة التونسية للتوزيع، (د. ت).
- الجودي، لطفي فكري، جمالية الخطاب في النص القرآني، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1435هـ/2014م.
- الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر،
- خضير، باسم خيري، الحجاج وتوجيه الخطاب، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2019م/1440هـ. بيروت، 1395هـ/1975م.
- خلف الله، محمد محمد، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط4، سينا للنشر، 1999م.
- الدليمي، عدنان مهدي، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013م/ 1434هـ.
- الزركشي، محمد بن عبدالله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، مكتبة دار التراث، 1404هـ/1984م.
- السبحاني، جعفر، القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ط1، مؤسسة الإمام الصادق، قم، 1427هـ.

- سلمان، طلال خليفة، مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة أسلوبية، ط1، مؤسسة الرافد للمطبوعات، بغداد، 1433هـ/ 2012م.
- الشريف، محمود، القصة في القرآن، (د. ط)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).
- شعبان، كريمة أحسن، الاتصال الخطابي وفن الإقناع، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن– عمان، 2015م.
- الشهرزوري، يادكار لطيف، جماليات التلقي في السرد القرآني، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق –سوريا، 2010م.
- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، مطبعة أمير المؤمنين، قم، 1421هـ.
- صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 1436هـ/2015م.
- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط10، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
- صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
- طنطاوي، محمد سيد، القصة في القرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
- الظواهري، كاظم، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، ط1، 1991م/ 1412هـ.
- عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد– الأردن، 2012م.
- العمري، ظافر بن غرمان، بلاغة القرآن الكريم، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
- قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ط16، دار الشروق، 1423هـ/2002م.
- نايف، بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية الاسترجاع والاستباق، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2011م.
- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2015م.